تنظيم «القاعدة» من الداخل كما يروي ابو جندل (ناصر البحري).. الحارس الشخصي لبن لادن (8)

بن لادن ساوى بين القادة العرب وامريكا وكان يصفهم باتباع إبن سلول.. وامتنع عن ضرب انظمتهم

«عملية الخبر» ليست من تنفيذ «القاعدة» بل في اطار الانتقام لمقتل الشيخ الخضيف في المعتقلات السعودية

اجرى الحوار: خالد الحمادي*

بعد أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001 كتُب الكثير والكثير وبعدة لغات عن تنظيم (القاعدة) الذي يتزعمه أسامة بن لادن، غير أن تلك الكتابات كلها كانت من خارج التنظيم ولم تعد أن تكون مجرد اجتهادات صحافية أو استندت على تقارير استخباراتية، قد يصيب بعضها ولكن قد يخيب أغلبها.

ولذا حاولت «القدس العربي» التميزّ والاقتراب من ذلك بإجراء هذه السلسلة المطولّة من هذه اليوميات والذكريات للحارس الشخصي السابق لأسامة بن لادن، المعروف بلقب (أبو جندل) واسمه الرسمي ناصر البحري، والذي حاولنا من خلاله فتح الأبواب المغلقة، وزيارة المملكة المحظورة، تنظيم (القاعدة)، والغوص في أغواره من الداخل عبر واحد من أهم العناصر التي تكتنز معلومات عميقة عنه وعن تركيبته التنظيمية.

وأبو جندل شاب غزير الثقافة، شديد الذكاء، محاور جيد، سريع البديهة، يبهرك بطرحه القوي كلما حاولت محاصرته بالاسئلة، ويتمتع بذاكرة حديدية، وفوق هذا كله مفتول العضلات، ولذا ربما كان اختياره لحراسة أسامة بن لادن ليس من قبيل الصدفة ولم يأت من فراغ.

عاد من أفغانستان إلى اليمن قبيل عملية تفجير المدمرة الأمريكية (كول) في ميناء عدن عام 2000 بحوالي شهرين، ألقي القبض عليه عقب ذلك وأمضى في السجن اليمني سنة و10 أشهر، منها 13 شهرا في السجن الانفرادي.

يعيش حاليا حرا طليقا في البلد التي ينحدر منه وهو اليمن، وتحديدا في عاصمته صنعاء، ويمارس حياة طبيعية فيها، يتجول بحرية في شوارعها ويمارس نشاطه المهني بكامل إرادته، غير أنه ربما ليس حرا من أعين (الرقيب) المحلي والخارجي، حيث يعيش تحت الإقامة الجبرية في العاصمة صنعاء ومحضور عليه الانتقال للعيش في المناطق اليمنية الأخرى، كما أن اتصالاته تحت الرقابة الدائمة.

بعد محاولات متواصلة استمرت ستة أشهر لفتح هذه الملفات، تعاقبت خلالها عمليات رفض مستمرة من قبل الأجهزة الأمنية لذلك، ثم الموافقة المبدئية أحيانا والرفض أحايين أخرى، حتى تمكنا من اقتناص هذه الفرصة لإجراء هذه السلسلة من الحلقات التي تبحر بالقارئ في محيطات تنظيم (القاعدة) وتغوص به في أعماق زعيمه ومؤسسه أسامة بن لادن، ابتداء من التنشأة والبيئة الدينية التي تربى عليها في السعودية، مرورا بحياته في السودان ونشاط التنظيم في إفريقيا، وانتهاء بحياته الشخصية وحياة التنظيم وعناصره في أفغانستان حيث استقر التنظيم والمنظمّ فيها حتى اليوم والتي اتخذ منها منطلقا لتنفيذ أبرز وأخطر العمليات العسكرية غير الحكومية، التي تسميها أمريكا (إرهابا) وتسميها القاعدة (جهادا)، والتي شكلت منعطفا هاما في السياسة الدولية.

في هذه الحلقة سيتحدث أبو جندل عن مواقف أسامة بن لادن من العديد من القضايا العربية وفي مقدمتها تداعيات حرب الخليج الثانية على منطقة الخليج والقضية العراقية الحالية.

حرب الكويت

■ هل عرفت شيئا من بن لادن عن موقفه من قضية الغزو العراقي للكويت؟

■ أعيد وأكرر أن الخلفية والتربية الدينية السلفية التي تربينا عليها في السعودية في المدارس وفي المعاهد وفي المساجد كنا نُدرّس فيها ونُلقّن بان فكر حزب البعث فكر كُافر وليس له في الاسلام شيء، وتمت تربيتنا على هذا الشيء وتعلمنا على ذلك وما زالت الغالبية هناك يعتقدون بأن فكر البعث فكر كافر، لأنه فكر يقوم على أفكار ميشيل عفلق ومن معه من سلسلة منظميه ومنظري حركة البعث العربي، ولذا فان الشيخ أسامة بن لادن كان معارضا لغزو صدام حسين للكويت وكان يدعو الحكومة السعودية الى فتح المجال لتجنيد الشباب وفتح باب الجهاد والدعوة للجهاد في ارض الحرمين، لدحر الغزو العراقي واخراجه من الكويت، ولم تكن تلك الدعوة موجهة لقتال الشعب العراقي، وكانت لبن لادن أبعاد كثيرة من وراء هذه الدعوة للجهاد، وكانت النية صافية جدا لدفع الاحتلال العراقي عن الكويت، وانقاذ الشعب العراقي من سلطة حزب البعث العراقي، وكان الشيخ أسامة يحلم بهذا الأمر، ولذا دعا الحكومة السعودية وطلب منها أن تفتح له المجال وكان يقول أنه مستعد أن يحضّر في غضون ثلاثة أشهر ما يتجاوز مئة ألف مقاتل، وكان يقول عندي في بلد الحرمين وحدها أكثر من أربعين ألف مجاهد من الذين تدربوا في أفغانستان، وهو مستعد لتحضيرهم في غضون أيام قليلة، وكان عدد المجاهدين الآخرين من خارج السعودية يربون على ذلك بأضعاف، وأعتقد أنه لو كانت السعودية سمحت بذلك لشارك الجميع باخراج القوات العراقية من الكويت، خاصة أن السعودية لها وضعها الديني الخاص لكل المسلمين، بحكم وقوع الحرمين الشريفين في أراضيها.

■ المعروف أن التيار السلفي في السعودية طاغٍ على كل التيارات الأخرى، فكيف التقى مع التيار الجهادي الذي تبناه أسامة بن لادن في مظلة تنظيم القاعدة؟

■ مثلما قلت ان الأحداث تصنع الأحداث، وهناك محاضرة جميلة جدا للشيخ سلمان العودة بعنوان (دورنا في زحمة الأحداث)، وهي محاضرة تتحدث عن أحداث خارج السعودية، في فلسطين، في أفغانستان، في الشيشان، البوسنة والصومال وغيرها وفيها اشارة الى أنها أحداث بعيدة عن السعودية ولكنها تدور في أرضنا الاسلامية، وايحاء الى المؤامرات على منطقة الخليج ومنابع النفط؛ فكانت هذه الدروس العلمية ونشرات الأخبار الساخنة تغيرّ من وعي وادراك الشباب لما يحاط بهم. وأذكر أنه عندما كان الشيخ سلمان العودة يدعو في شريطه (صناعة الموت) الى الجهاد في الصومال، ويركز على قضية الهجمة الأمريكية على القرن الافريقي كان الشباب حينها يتوجهون نحو البوسنة والهرسك، وقلة قليلة كانوا متجهين نحو الشيشان، والنزر القليل بقوا داخل أفغانستان، فلفت انتباهنا الى أهمية قضية القرن الافريقي؛ كما كنا حينها أيضا لا نفهم أبعاد الكثير من الأحداث حولنا، لأن هذا كله كان غائب عنا، ربما كنا نسمع أخبارها بشكل عابر ولكن لا ندرك أبعادها، ولكن بعد توالي الأحداث هنا وهناك، وخصوصا بعد عام 1991 والحرب على العراق وأحداث 1993 في السعودية باعتقال المشايخ والعلماء وأحداث حرب اليمن في 1994، ووقوف الحكومة السعودية الى جانب الاشتراكيين في تلك الحرب وموقف العلماء من حرب اليمن، هذه كلها كانت تفتح أمامنا آفاقا بعيدة ما كنا نفكر فيها من قبل، حيث كان العمل لدينا في السابق عملا خيريا وحسب، وكانت مشاكلنا كلها داخلية ولم يكن لدينا ارتباط قوي بأحداث الخارج، حتى جاءت أحداث اليمن، التي أعتقد أنها هزت الكثيرين وعملت نوعا من المفاصلة، صحيح أن أزمة الخليج كانت قوية الا أنه لم يكن لها ذلك الأثر على الشباب، خاصة وأن الشيخ أسامة بن لادن كان يتكلم عن ذلك وذهب حينها للعلماء وقال لهم اتقوا الله، كيف تفتوا باباحة دخول الأمريكان للبلد؟ هذا لا يجوز، فكانت كل هذه الأحداث تدور داخل أروقة قصور الأسرة الحاكمة، ولم يكن لدى عامة الشعب علم بما يدور من ذلك، حتى أنهم بثوا فتوى للشيخ بن باز في التلفزيون يجيز دخول القوات الأجنبية البلاد فاستغربنا لذلك كثيرا، كيف أن الشيخ بن باز بصيته وبمكانته العلمية يجيز ذلك، ما الذي جرى؟ ثم يظهر الشيخ بن عثيمين في اليوم الثاني على التلفزيون ويوجه خطابا الى الشعب بأكمله ويجيز دخول الأجانب للبلاد!!، فلم يكن عندنا في ذلك الوقت ادراك لموضوع المفاصلة العقائدية مع أعمال الكفار، ولكن الآن بدأت التربية العقائدية للشباب في السعودية لرفع الوعي لديه في هذا الجانب، لكن التيار السلفي معروف موقفه من فكر الجهاد، وكان مضاداًله على الدوام بدون ابداء الأسباب، ولم يكن هناك توجه لدى التيار السلفي باتجاه العمل الجهادي، ولم تكن هناك بلورة لدى الشباب لقضية الجماعات الاسلامية بمختلف اتجاهاتها حتى خرجنا للجهاد، وبمجرد خروجنا للجهاد من داخل القمقم والسجن الكبير المسمى (المملكة العربية السعودية) تفتحت أمامنا آفاقا واسعة من الادراك والوعي، وأصبحنا نشعر بأننا كنا مغيبين كلية عما يدور في عالمنا، وأذكر أنه عندما كنا في السعودية وتوزع بيننا نشرات الدكتور محمد المسعري، كانت توزع بيننا بسرية تامة وبتكتم شديد، خشية أن تصل الى أيدي الأجهزة الأمنية السعودية التي لا ترحم، وحيث تربينا في السعودية على مفهوم (أكل واصمت)، وهو المفهوم السائد لشعار المملكة (سيفان ونخلة)، أي كلٌ من النخلة واسكت، لأن السيفين موجودان لقطع رقاب من يخالف ذلك، فتربيّنا على هذا الشيء وكانت للحكومة السعودية هيبة عندنا ورعب وخوف منها، ولكن هذا الشيء انقلب حاليا، وكانت له نتائج سلبية على البلد وعلى حكومتها وشعبها، وجنت نتائج سلبية كثيرة نتيجة التكتم الاعلامي وعدم فتح آفاق للحوار. وأذكر أنه من بعض الأشياء التي كان الشيخ أسامة بن لادن يحكيها لنا، أنه عندما ذهب الى الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ بن عثيمين يحاورهم بشأن قضية دخول الأمريكان الى الخليج، كان الشيخ بن عثيمين يقول له: يا ولدي يا أسامة لا نستطيع أن نتكلم بهذا الأمر لأننا خائفون، وكان الشيخ بن عثيمين يؤشر الى رقبته، في اشارة الى خوفه من قطع الرقاب اذا تحدثوا عن هذا الأمر.

■ وهل ذكر لكم أسامة بن لادن ما فعله مع العلماء، في ظل هذا الوضع بالسعودية؟

■ نعم، كان الشيخ أسامة ينظر الى العلماء ويقول لهم: أنتم العلماء وأنتم أهل المواقف ولا بد أن تتكلموا ولا بد أن تعلنوا موقفكم بجرأة، حتى أن الشيخ أسامة بن لادن عرض على العلماء وعرض على الحكومة السعودية تزويدهم بشباب من المجاهدين لاخراج القوات العراقية من الكويت، تفاديا لدخول القوات الأمريكية الى المنطقة ولكنهم رفضوا ذلك العرض، وقال لهم بن لادن: أنا مستعد أن أجهز لكم في غضون ثلاثة أشهر 100 ألف مقاتل، وأصحاب خبرة قتالية جيدة، فاذا كانت خبرة الجيش العراقي في الحرب مع ايران لثماني سنوات فهؤلاء خبرتهم أكثر من ذلك، ومستعدون لخوض معارك ومستعدون للدفاع عنكم، ولكن ولاة الأمر هناك لم يعيروا هذا العرض أي اهتمام لأنهم كانوا مسيرّين، وكانت أوامرهم مطاعة طاعة عمياء، وغير قابلة للنقاش، فهذه الأمور كلها فتحت آفاق الشباب ووسعت مداركهم وغيرّت مواقفهم. على سبيل المثال أنا كمغترب يمني في السعودية، كنت أعيش حتى أحداث الخليج عام 1990 مثلي مثل السعودي في الحقوق والعلاقات الاجتماعية وكنا نعيش وكأننا أسرة واحدة، ثم تغير الموقف كثيرا وبالذات بعد الحرب اليمنية عام 1994، حيث تفاجأنا بوقوف الحكومة السعودية الى جانب الاشتراكيين اليمنيين في تلك الحرب على الرغم من أنها كانت ضد الاشتراكية، وأذكر أنه كان لي زميل في البحرية السعودية، جاء يودعني، فقلت له لماذا؟ فأجاب أنه ذاهب لضرب السواحل اليمنية الغربية(!!)، استغربت وقلت له ما هو دخل السعودية بضرب السواحل اليمنية؟ فقال: تلقينا أوامر بالتوجه الى هناك لضرب سواحل الحديدة والمخا، فتساءلت لماذا تضربون المسلمين هناك وأنتم جيش مسلم؟ وحتى فتاوى المشايخ تؤكد أن الحرب الدائرة هناك مشكلة داخلية، فأحدثت هذه القضية عندنا نوعا من عدم الادراك لما يدور حولنا. ومرة أخرى ذكر لي زميل سعودي يعمل في سلاح الطيران السعودي، أنه أقلع ضمن سرب جوي عسكري وقال جاءتهم الأوامر بضرب القوات الحكومية اليمنية (قوات الحكومة الشرعية في صنعاء)، فقلت له لماذا تضرب القوات اليمنية؟ أليسوا مسلمين، بينما أعداؤهم في جبهة القتال اشتراكيون والاشتراكيون كفارٌ ومرتدون، حسب ما تربينا على ذلك؟ فزادتني هذه حيرة، كيف أن الحكومة السعودية تدافع عن الاشتراكيين، وسألت صديقي: هل أطعتم الأوامر العسكرية وضربتم القوات اليمنية؟ فأجاب «وهل نحن مجانين، نقصف مسلمين، يا راجل ألقينا بالذخيرة في صحراء الربع الخالي ورجعنا، وهذا قرار اتخذته مع كافة طياري السرب الجوي، بعد أن استفتينا العلماء بذلك ولم يجيزوا لنا ضرب قوات الحكومة الشرعية اليمنية». فولدّت هذه القضايا صراعا داخليا لدينا وقادتنا الى التعمق في البحث عن أسباب ذلك لاحقا، وعندما خرجنا الى الخارج وبدأنا نحتك بعالم الجهاد أصبحت هناك مهاترات فيما بيننا حول بعض القضايا الى أن جاءت عملية اعلان الجهاد ضد أمريكا، وكان بعض أبناء التيار السلفي يتساءلون باستغراب: الجهاد ضد أمريكا؟! حتى أن بعضهم كان يقول: أمريكا تعرف كل شيء عنا حتى ماركة الملابس الداخلية التي نرتديها!!، وكان هذا نتيجة الهزيمة النفسية التي زرعتها أمريكا في نفوسهم، فبدأنا عقب ذلك التركيز على بعض طلبة العلم السلفيين ودخلنا معهم في حوار مستفيض بشأن الجهاد، وبعد أن توصلنا معهم الى قناعات معينة سألناهم: يا جماعة لماذا لا تذهبوا الى أفغانستان لتعرفوا حقيقة الجهاد؟ وتعرفوا ما هو حاصل هناك؟ ثم تقرروا بأنفسكم بشأن الجهاد؟ وكان الهدف من ذلك اخراجهم من البيئة السعودية المغلقة ليفتحوا أعينهم ويفتحوا مداركهم ووعيهم وآفاقهم الفكرية والعقلية، لتفتح أمامهم أبواب الاجتهاد العلمي بدلا من الاعتماد على النقل العلمي وحسب، وكنا نقول لهم يا جماعة اجتهدوا، ابحثوا، ناقشوا الآخرين، فاقتنع بعضا منهم بالسفر الى أفغانستان ولكن كان غرض بعضهم من الذهاب الى أفغانستان فتح حوار بناّء هناك لافحام أسامة بن لادن بشأن الجهاد، وبعضهم ذهب الى أفغانستان بقصد ارجاع الشباب المجاهد من هناك، فاذا بهم يقتنعون بفكرة الجهاد التي أعلنها بن لادن، وناقشوا مشايخهم بهذه القضية، وبذلك خرج تيار سلفي جهادي غير عادي، رغم أنه كان مضادا كليا لتيار الجهاد.

عرض للمشاركة في اخراج القوات العراقية من الكويت

■ ذكرتم أن بن لادن عرض اخراج القوات العراقية من الكويت، فهل عرض ذلك على الحكومة السعودية أم على العلماء؟

■ وفقا لكلام بن لادن نفسه وبلسانه، عرض هذا الموضوع على الحكومة السعودية عبر مسؤول كبير فيها وقال له نحن مستعدون لاخراج القوات العراقية من الكويت، ولكن كان توجه الدولة في تلك الأيام بأن الموضوع مفروغ منه ولا بد من الاستعانة بالقوات الأمريكية لاخراج العراقيين من الكويت، فتحركوا باتجاه تجويز الاستعانة بهم واباحتها، رغم أنه كان بالامكان حل هذه المشكلة في اطار البيت الواحد عبر جامعة الدول العربية وعبر منظمة المؤتمر الاسلامي، وبقوات أعضائها الهائلة التي فيها كفاية لذلك، والتي كانت ستغنينا عن الاستعانة بالقوات الأجنبية التابعة للأمريكان وغيرهم، فالشيخ أسامة بن لادن قدم عرضه للحكومة السعودية كما عرضه على المشايخ والعلماء والدعاة وحاول اقناعهم بذلك وطلب منهم توعية الناس بخطورة الاستعانة بالقوات الأجنبية، وعرض عليهم برنامجا عسكريا متكاملا، طالبهم فيه بفتح معسكرات تدريب للشباب وتجنيد الشباب الفارغ وغرس روح الجندية في أعماقهم، ودخل معهم في جدال شديد بهذا الشأن وغضبوا منه، وكنا مستغربين لماذا السعودية رفضت عرض بن لادن، ولكن بعد فترة فهمنا سبب ذلك، وعرفنا أنه مخطط أمريكي لاجتياح المنطقة، قابله هزيمة داخلية، والحكومات الخليجية سمحت بالتدخل الغربي لتحمي نفسها، وعرفنا أن سبب خروج فتاوى العلماء في السعودية راجع الى أن حكام السعودية رجعوا الى المشايخ وقالو لهم أفتونا في الموضوع ولكن بعد فوات الأوان. وأذكر أن الشيخ عبد العزيز بن باز كشف أن النظام السعودي لم يستدع الأمريكان بعد الفتوى ولكن الأمريكان دخلوا المنطقة قبل الفتوى، ولكن الحكومة السعودية جاءته وقالت له يا شيخ اذا لم تُصدر فتوى بوجوب الاستعانة بالقوات الغربية وجواز الاستعانة بالأمريكان فستقوم فتنة داخل المملكة العربية السعودية، يشتبك في ظلها الشباب المجاهدون مع القوات الأمريكية، وستكون فتنة عظيمة وقوات الجيش البعثي العراقي على الأبواب.

بن لادن وصدام

■ ما ذا تعرف عن رأي بن لادن في الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين وباقي الزعماء العرب؟

■ أذكر أنه كنا نتحدث عن القادة العرب وننتقد مواقفهم الهزيلة، وكان بعض الشباب يقول: يا شيخ أسامة نريد تنفيذ عملية ضد فلان أو علاّن من القادة العرب، بحكم أن الحكومة المصرية مرتدة، الحكومة العراقية مرتدة، و..و.. الخ، لأن الشباب مندفعون، فكان يقول أتركوهم وشأنهم ولا تنشغلوا بهم، هؤلاء ثلةّ حثالة، من شلة عبد الله بن أُبي، زعيم المنافقين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء عندما يرون هزيمة الولايات المتحدة الأمريكية سيكون وضعهم في أسوأ حال؛ لكن من وجهة نظره كان الشيخ أسامة لا يفرّق بين القادة العرب والأمريكان، كان يراهم سواسية وليس بينهم فرق، وكان ينظر اليهم وكأنهم شيء واحد، ولكن استراتيجية عمل الشيخ أسامة كانت بعدم ضرب الدول العربية أو تنفيذ ضربات داخل الدول العربية.

■ كيف ذلك، هل من توضيح؟

■ مثلا الحكومة السورية كانت محل انتقاد كبير من قبل الجماعات الاسلامية، والكثير من هذه الجماعات تختلف من ناحية عقائدية مع المذهب النصيري الذي يسيطر على السلطة في سورية وربما تكفّره، ولكن من ناحية عسكرية ربما نلتقي واياه على أشياء كثيرة جدا، يمكن أن يسمحوا لنا بالمرور في أراضيهم، ربما يدعمونا، ربما، وربما، طبعا هذا في السابق أما الآن فالوضع تغيّر، حيث أصبح السوريون جزءا من التحالف الدولي.

■ هل كان بن لادن محددا وجهته باتجاه أمريكا فقط؟

■ نعم، كان محدداً وجهته باتجاه أمريكا فقط ومخصصاًنشاط تنظيمه على أمريكا، وما كان ينظر للعمل في أي دولة عربية، وكان الشيخ أسامة يردد في مواقف كثيرة ويقول: هناك بعض الدول العربية لا تحتمل معركة أسبوع، لو ركّزنا عليها سنُنهيها وسنبيدها، وسنسقط دولا بكاملها، وكان يقول: أنا عندي قدرة أن أسقط دولتين الى ثلاث دول عربية، لأنها ليست دول بالمعنى الحقيقي وقيادتها ليست عند مستوى المسؤولية، ونحن لا بد أن نسقط أمريكا بالكامل ونتمنى أن نكون سببا في اسقاط المنظومة بالكامل؛ ان الشيخ أسامة اتبع سياسته هذه وأعتقد أنه نجح فيها نجاحا كبيرا.

عملية الخبر

■ وماذا عن أحداث الخبر بالسعودية، هل تعتقد أنه كانت لتنظيم (القاعدة) يد فيها؟

■ لا، فمن خلال ما عرفته من كلام الشيخ أسامة بن لادن نفسه أنه ليست للقاعدة أية علاقة بأحداث الخبر، لكن كان دائما يترحم على الذين قتلوا في تلك العملية، أمثال الأخوة مصلح الشمراني، خالد السعيد، عبد العزيز المعثم، ورياض الهاجري، بالاضافة الى الأخوة الشهداء الأربعة الذين اتهموا بتنفيذ عملية الرياض، وأعدمتهم الحكومة السعودية من دون تحقيق، حتى أن الحكومة الأمريكية ـ حسب علمي ـ غضبت من السعودية، لاعدامهم من غير تحقيقات ومن غير اطلاع الأمريكان على ذلك، وكأنما قُدّموا ككباش فداء. وأذكر انه قبل شهر من اعدام هؤلاء الأربعة صدر بيان تحذير من الشباب المجاهد بأنه في حالة اعدام الشباب الأربعة سيكون الرد على السلطة موجعا، فرد وزير الدفاع الأمير سلطان بن عبد العزيز على ذلك التحذير بالقول بأن هذه ألعاب صبيانية؛ وفعلا بعد اعدام الشباب الأربعة كان الرد بعملية الخبر، وصدر بيان تأكيد من المنفذين بذلك وأن تلك العملية كانت انتقاما لاعدام الأربعة. وما أعرفه، من خلال بعض الأخوة الذين عاشروا هؤلاء الشباب أن عملية الخبر كانت عملية انتقام على عملية اعدام الشباب الأربعة من منفذي عملية الرياض، الذين قاموا بتلك العملية انتقاما لمقتل الشيخ عبد الله الخضيف سنة 1995 في المعتقلات السعودية، والشيخ عبد الله الحُضيف هو الذي قام بعملية تشويه لوجه أحد ضباط التحقيق في السعودية، من الذين كانوا يعذبون الشباب في المعتقلات، حيث رشّ على وجه الضابط ماء من مادة أسيد النار وأحرقه، فاعتقل الشيخ الحُضيف وقُتل أثناء التعذيب، حتى أن كثيرا من الأخوة الذين كانوا قريبين منه قالوا لم نر أي أثر لاعدامه، وأكدوا أنه قُتل في المعتقل ودُفن في مكان مجهول حتى لا يعرف أحد مكان قبره؛ ويُروى عن كثير من الشباب ممن عاشروا مفلح الشمراني أنه كان دائما يردد ويقول: «والله لسنا رجالا اذا لم ننتقم للشيخ عبد الله»؛ ولذا فان هذه العمليات كلها عمليات انتقامية ومرتبطة ببعضها البعض، حيث أن عملية الرياض كانت انتقاما لمقتل الشيخ عبد الله الخُضيف وعملية الخبر كانت انتقاما لاعدام المتهمين الأربعة بتنفيذ عملية الرياض، أما أن تكون للشيخ أسامة بن لان يد في ذلك أو أنه كان موجها لهم فهذا غير صحيح.

■ ألم تكن لهم أية صلة أو علاقة بتنظيم (القاعدة)، أو لم يكونوا في أفغانستان وغيرها؟

■ أبدا، وحتى الحوار المتلفز الذي أدارته الأجهزة الأمنية معهم وبثه التلفزيون السعودي وقالوا فيه: تأثرنا بكتب محمد المقدسي وتأثرنا برسائل أسامة بن لادن، هذا كله نوع من فرض الرأي عليهم، ونوع من التلقين الذي أجبرتهم الأجهزة الأمنية على التصريح به، وبدوا بشكل واضح أثناء حديثهم وكأنهم يلقون عبارات حُفّظوها، أما قصة علاقتهم وتأثرهم بأسامة بن لادن وما الى ذلك، فبما ذا تأثروا بخطابات بن لادن؟ وأعتقد أن هذا كان عذرا أقبح من ذنب وغير معقول، والا فان كتب المقدسي وخطابات بن لادن كانت موجودة في السعودية منذ وقت قديم ولم يتأثروا بها، فكيف تحركوا في يوم وليلة؟، ولهذا أكرر التأكيد أن هذه العملية كانت عملية رد انتقامي على مقتل الشيخ عبد الله الخُضيف، وهذا شيء معروف بين جميع اخواننا من الشباب هناك.

لماذا لم تضرب القاعدة اسرائيل؟

■ لماذا لم ينفذ تنظيم (القاعدة) عمليات عسكرية داخل اسرائيل، حيث الحرب والمعركة واضحة بينها وبين العرب والمسلمين؟

■ كان يتمنى ذلك، لكن لا تنسى دور دول الطوق العربية في الدفاع عن الحدود الاسرائيلية، وخصوصا الجارتين العربيتين لها، كما أن الشيخ أسامة كان يرى أن جماعة الجهاد وحركة حماس في فلسطين تقومان بهذا الواجب بشكل جيد، وهما نشيطتان في هذا الجانب على أكمل وجه، لكن واجبنا أن ندعم هاتين الجماعتين بطريقة أخرى غير مباشرة، وذلك بقطع رأس الأفعى، ونضرب الرأس الكبيرة التي تدعم وتمول اسرائيل وهي أمريكا، والناس تعرف أنه لولا الفيتو الأمريكي لما تحملت اسرائيل معركة أسبوعين مع حركة حماس أو الجهاد، وليس مع جيوش الدول العربية، هذه الجماعات كانت تكفي لضرب اسرائيل ولكن الدعم الأمريكي الخارجي والدعم العربي والتأييد الدولي لها أبقى لها الحياة، والشيخ أسامة كان يقول: اذا سقطت أمريكا فان المنظومة بالكامل ستسقط بعدها، واسرائيل من ضمنها.

■ ألا تعتقد أن يتخذ الشباب المتأثرون بفكر تنظيم (القاعدة)، من السعودية قاعدة خلفية ومنطلقا لمحاربة الأمريكيين في المنطقة والعراق تحديدا؟

■ كما ذكرت الأنباء أن الكثير من الشباب المجاهد اعتقلوا داخل العراق، ولو نظرنا لصور هؤلاء الشباب أو لأسمائهم لوجدنا أنهم شباب جدد، لم يجاهدوا في أفغانستان ولا في البوسنة ولا في غيرهما، وهم سعوديون وغير سعوديين، من مختلف الجنسيات، وقد ذكر ذلك وزير الداخلية العراقي بالتفصيل، ولكن السؤال: من دفع بهؤلاء الشباب الى العراق؟ الأحداث أخرجتهم والصراع دفع بهم الى هناك. وما يحصل في العراق حاليا سيدفع بآخرين بمبرر قتال الأمريكيين، كما دفعت الأحداث الأخرى من سبقهم الى الخروج الى أفغانستان والبوسنة والشيشان، ولكل حدث رجاله، وكما يقال لكل زمان دولة ورجال.

■ هل يعني هذا أن أحداث العراق خلقت أو يمكن أن تخلق تنظيم (قاعدة) جديدا؟

■ ممكن، وسيكون تنظيم القاعدة عقلا موجها للآخرين، ودعوة الشيخ أسامة بن لادن الأخيرة الى أن تنضوي جميع الجماعات المسلحة في العراق تحت زعامة أبو مصعب الزرقاوي، هذا توجه قوي جدا، وأعتقد أن الكثير من التنظيمات ستنظم تحت قيادة أبو مصعب الزرقاوي، وتخيلّ ما فعله أبو مصعب الزرقاوي وحده بالقوات الأمريكية في العراق بمجموعة بسيطة، فكيف عندما يتحد الجميع تحت قيادة واحدة، وان اقرار أسامة بن لادن للزرقاوي بالامارة في العراق يعني أن تنظيم (القاعدة) في العراق يرتب أوراقه بشكل جديد.

■ على ضوء الأحداث الدائرة حاليا في العراق هل تعتقد أن لتنظيم (القاعدة) وجوداً كبيرا هناك؟

■ نعم هناك تواجد لعناصر (القاعدة) في العراق ولكن ما حجم هذا التواجد؟ هذا ما لا أعلمه، وقد أصبح وجودهم الآن بشكل واضح، خصوصا بعد دعوة الشيخ أسامة جميع الجماعات المقاتلة في العراق بالانضمام الى جماعة الزرقاوي والانضواء تحت امارته، وأعتقد أن هذا سيوسع دائرة نشاط تنظيم (القاعدة) هناك وسيوسع حجم تواجد عناصره فيها. وأعتقد أنه بعد سقوط نظام صدام حسين في العراق بدأ الكثير من عناصر (القاعدة) السابقين من العراقيين يتواصلون مع بعضهم ويشكلون جبهة موحدة لمقاتلة القوات الأمريكية هناك، وكانوا نواة لمن بعدهم في رفع السلاح بوجه الغازي الأمريكي.

امريكا خدمت بن لادن

■ يتردد أن أمريكا استغلت ورقة (القاعدة) للانقضاض على العالم الاسلامي ومحاولة احتلاله وأفغانستان والعراق نموذجان، فما ردكم على ذلك؟

■ أمريكا خدمت بن لادن بالدرجة الأولى، نعم أنا أقول ان أمريكا خدمت الشيخ أسامة بن لادن وتنظيم (القاعدة) بالدرجة الأولى، والشيخ أسامة عندما ضرب أمريكا كان يريد أن يفضحها أمام العالم الاسلامي ويكشف سوءتها وهو ما حصل بالفعل، حيث أصبحت أمريكا بعد أحداث 11أيلول (سبتمبر) لا تثق بأحد من كوادرها، حتى في ضباطها ومسؤوليها المباشرين. أما أن تكون واشنطن استغلت (القاعدة) للانقضاض على العالم الاسلامي فهذا غير صحيح، فقد دخلت أمريكا العراق وقبله أفغانستان ضمن مخطط مسبق طويل الأمد وهي تريد احتلال المنطقة بأكملها، تريد أن تعيد السبعينات وتعيد تاريخ الثلاثينات والأربعينات وتعيد الاستعمار الفرنسي والانكليزي والايطالي للمنطقة، أمريكا تريد احتلالا كاملا للمنطقة، ولم يكن الشيخ أسامة وتنظيم (القاعدة) سوى شوكة قوية في حلق أمريكا، أحدث لديها عسر هضم في ابتلاع عالمنا الاسلامي وشغلها عن هذا المخطط الرهيب، ولم يكن احتلاله بأي حال مبررا. وأعتقد أن بروز تنظيم (القاعدة) بهذه القوة وبهذه القدرة المتفوقة الى السطح والى دائرة الأحداث الدولية خلق نوعا من التوازن في الصراع الدولي بعد هيمنة القطب الواحد على العالم وهو قطب أمريكا بعد انهيار قطب الاتحاد السوفييتي، ونتمنى أن يكون تنظيم (القاعدة) سببا في انهيار القطب الأمريكي مثلما كانت أفغانستان سببا في انهيار قطب الاتحاد السوفييتي (السابق).

أمريكا خدمت بن لادن بالدرجة الأولى.. نعم أنا أقول ان أمريكا خدمت القاعدة بالدرجة الأولى، والشيخ أسامة عندما ضرب أمريكا كان يريد أن يفضحها أمام العالم الاسلامي.. أما أن تكون واشنطن استغلت القاعدة للانقضاض على العالم الاسلامي فهذا غير صحيح.. فقد دخلت أمريكا العراق وقبله أفغانستان ضمن مخطط مسبق طويل الأمد وهي تريد احتلال المنطقة بأكملها...

* مراسل «القدس العربي» في صنعاء